والاستهانة به أي في الوقت الذي يكون فيه النشر والكتابة مجرد لعبة مجانية يستأنس المبدع بممارستها كيفما يشاء، ووقتما يشاء.

والمعروف أن سلطة المنتج على نصه، وامتلاكه له، يزول بمجرد ما يلقي به إلى القارىء، ومن هنا الفرق بين الفعل التواصلي الذي يتم بموجب حضور متزامن لطرفي التواصل، كما هو الأمر في الحديث اليومي، وبين الفعل التواصلي الذي يعتمد النص المكتوب قناة، ولا يستلزم الحضور المتزامن للطرفين. إذ في الفعل الأول ـ يكون منتج الخطاب ممتلكاً لإمكانية رصد ردود فعل المتلقي (أو المتلقين) حيال ما يقوله، وبالتالي، فبإمكانه تصويب خطابه وتعديله حسب ما تستلزمه ردود الأفعال المذكورة، هذا إضافة إلى امتلاكه أدوات تعبيرية مساعدة منها ما هو شبه لغوي (كنبرات الصوت مثلاً) ومنها ما هو حركي أو إشاري كالإيحاء وملامح الوجه وحركة اليدين: مما يدخل في عِداد بدائل اللغة.

أما في الفعل التواصلي الثاني، فإن المنتج يفتقد القدرة على رصد ردود الأفعال لدى المتلقي (أو المتلقين)، لأن المقام التواصلي لا يسمح بذلك، ما دام الثاني غائباً ضرورة، كما هو الحال في التواصل بالرسائل المكتوبة، هذا إضافة إلى افتقاده لنفس المساعدات التعبيرية التي يتمتع بها المصدر المتكلم الأول.

هذا الوضع يقتضي من منتج الخطاب المكتوب، تضمين خطابه ما يضمن إمكانية احتوائه لمجموع ردود الفعل المحتملة من لدن المتلقي، وهذا لا يتوفر له إلا عبر ما تسمح به حدود اللغة في جانبها الاستعاري، والبياني عموماً.

والخطاب الأدبي المكتوب، لا يخرج عن هذه القاعدة، إذ كلما خضع المكتوب لتعديل أياً كان حجمه، كلما صار الخطاب غير الخطاب، وساعتها لا نوجد فقط أمام نفس النص القديم مضافاً إليه التعديل الجديد بل، نوجد أمام نص جديد بالمرة، لأن التغيير الذي يصيب الجزء يهدم الكل الأول ويبني كلاً ثانياً[59].

وإذا أخذنا بهذا المبدأ، فإن النصوص التي يعرضها ديوان، مواسم الشرق ليست فقط تلك النصوص االتي سبق نشرها مضافة إليها بعض التعديلات، بل هي من هذا المنظور نصوص جديدة بالمرة، لا تمثل النصوص الأولى إلا خلفية لها، يمكن تبينها بقراءة النصوص الجديدة.

هذا الاستطراد لم يكن ليلزم لولا أن حجم التغيير والتعديل، لم يقتصر فقط على وحدة لغوية أو جملية في نص أو نصين، بل شمل شرط تلقي المكتوب الأساسي، الذي هو الفضاء

---

(59) ينظر القسم المتعلق بالكل والأجزاء من المنظور الجشطالتي، في الباب الأول من هذا البحث. ونشير هنا إلى أن هذا المبدأ الجشطالتي أخذت به مجموع النظريات التي بحثت في التواصل الأدبي.